التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم القراءات القرآنية عند ابن جنّي من خلال كتابه المحتسب

The interdisciplinarity of phonology and the science of Quranic readings according to Ibn Jinni through his book Al-Muhtaseb

أ.د غنية بوحوش[1]

جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل
gbouhouche@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/12/02 القبول 2023/05/03 النشر على الخط 2023/06/05
Received 02/12/2021 Accepted 03/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:

حاول هذا المقال بيان إبداع القدماء في تجسيد التكامل بين المعارف. واختار المقال لتقريب هذا المعنى نموذجا تراثيا، وهو أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، الذي مثّل كأجمل ما يكون التمثيل التكامل المعرفي بين علوم اللسان وعلوم القرآن، عامة، وعلمي الأصوات، والقراءات خاصة، في سفره العظيم "المحتسب".

وقد انتهى المقال إلى: تأكيد مُكْنَة ابن جني العلمية الجامعة بين علوم القرآن، وعلوم اللسان.

وبيان القيمة العلمية العظيمة للمحتسب، وكونه سَفْرا حافلا بالمصطلح الصوتي، والقرائي. وقد احتوى كثيرا من الآراء، والتحليلات، والتعليلات اللغوية، والقرائية، القيّمة، المرشحة كي تكون مشاريع بحث جديدة مفيدة.

الكلمات المفتاحية: التكامل المعرفي، علم الأصوات، علم القراءات القرآنية، ابن جنّي، المحتسب.

Abstract:

This article attempted to demonstrate the creativity of the ancients in embodying interdisciplinarity. In order to approximate this meaning, the article chose a traditional model, which is Abu al-Fath Othman bin Jinni. He made the most beautiful representation of the interdisciplinarity between linguistics and the sciences of the Qur'an, in general, and phonetics and Qur'anic readings in particular, in his great book "Al-Muhtaseb". In conclusion, the article confirmed Ibn Jinni's scholarly competence that combines the sciences of the Qur'an and linguistics. It stated the great scientific value of "Al-Muhtaseb", and the fact that it is a book full of phonetic and Qur'anic readings terminology. It contained a lot of valuable opinions, analyses, linguistic and Qur'anic readings justifications, which are nominated to be useful new research projects.

Keywords: interdisciplinarity, phonology, the science of Quranic readings, Ibn Jinni, Al-Muhtaseb.

[1]– المؤلّف المراسل: غنية بوحوش البريد الإلكتروني: **gbouhouche@gmail.com**

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله الطاهرين، وصحابته المكرمين، وبعد:

فإن التكامل بين العلوم، في الأصل، طبيعة فيها، وليس مطلبا يُتَكلَّف لها، إذ العلوم وإن تباينت شكلا، وموضوعا، فإنما تهدف إلى غاية واحدة، وتجمع بينها وشائج، من السهل الوقوف عليها، وهو أمر أبدع القدامى في تجسيده، فهذا طبيب لغوي، وذاك نحوي مُفَسِّر، وذلك أصولي جامع بين علوم القرآن، وعلوم الحديث، من جهة، وبين علوم اللغة بأنواعها، من جهة أخرى، وغير ذلك كثير جدا؛ من العلماء الذين جمعوا العديد من العلوم، وأثبتوها في مصنفاتهم.

ومن العلوم المتداخلة، المتكاملة، علوم اللسان عامة، وعلم الأصوات خاصة، وعلوم القراءات القرآنية.

ومن العلماء الذين جمعوا بين علوم اللسان (صرفا، ونحوا، وأصواتا، وبلاغة) رصدا وتعليلا، والقراءات القرآنية، جمعا وتوجيها، أبو الفتح عثمان بن جني.

والسؤال: ما تجليات التكامل المعرفي بين علم الأصوات، وعلم القراءات، عند ابن جني؟

وقد حاول هذا المقال الإجابة عن السؤال السابق، من خلال كتابه "المحتسَب"، وفق منهج وصفي، بإجراءيه الاستقرائي والتحليلي. لينتهي، إلى تأكيد مُكْنَةِ ابن جنّي العلمية، التي أهلته ليمثّل كأجمل ما يكون التمثيل التكامل المعرفي بين علوم اللسان وعلوم القرآن، عامة، وعلمي الأصوات، والقراءات خاصة، في سفره العظيم "المحتسب."

وقد انتظم المقال في مبحثين:

الأول: وجعلته في مطلبين؛ للتعريف بابن جني ومحتسبه.

والثاني: وجعلته في مطلبين كذلك؛ لبيان تجليات التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم القراءات القرآنية، عند ابن جنّي.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

المبحث الأول: التعريف بابن جني (ت392هـ) ومحتسبه

المطلب الأول: التعريف بابن جني (ت392هـ)[1]

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ولد بالموصل؛ قبل السنة الثلاثين وثلاثمئة.

وجِنِّي –بكسر الجيم والياء، وتشديد الياء، اسم أبيه، ومعناه في العربية: فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري، مخلِص.

وكان جني أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، ولا يُعرف من نسب ابن جني غير أبيه، وله شعر يذكر فيه أن الله عوَّضه من نسبه علمًا إليه يُنسب وبه يشرف، وأنه يرجع بأرومته إلى قياصرة الرُّوم، الذين دعا النبي لهم، قال:

فَإِنْ أُصْبِحْ بِلا نَسَبٍ... فَعِلْمِي فِي الوَرَى نَسَبِي

عَلَى أَنِّي أَؤُولُ إِلَى... قُرومٍ سَادَةٍ نُجُبِ

قيَاصِرَة إِذَا نَطَقُوا... أَرَمَّ الدَّهْرُ ذُو الخطْبِ

[1] : ينظر **معجم الأدباء، ياقوت الحموي،** تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، سنة 1993م، ج 4 ص 1585.

أُولاكَ دَعَا النَّبيُّ لهمْ... كَفَى شَرَفًا دُعَاءُ نَبِيّ

نشأته العلمية:

أخذ ابن جني العلم، في الموصل، عن كبار علماء عصره، من مثل: ابن مقسم العطار، أبي الفرج الأصفهاني، الأخفش الموصلي، غير أن عظيم تأثره، وولاءه العلمي، يعود لأبي علي الفارسي، وهو يكثر من ذكره، وآرائه العلمية، في مؤلفاته[1].

نبغ ابن جني في علوم شتى، منها: النحو والتصريف، وأسرار اللغة العربية، والقراءات القرآنية، وله في ذلك، مؤلفات، تعد مصادر في بابها، منها:

- سر صناعة الإعراب.
- الخصائص.
- المحتسب.

توفي رحمه الله تعالى، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة[2].

المطلب الثاني: التعريف بالمحتسب

أولا: عنوان الكتاب:

ألّف ابن جني كتابا في الاحتجاج للقراءات الشاذّة، وعَنْوَنَه بـ:

"المُحْتَسَبُ في تَبْيِينِ وُجُوهِ شَوَّاذِ القِرَاءَاتِ وَالإِيضَاحِ عَنْهَا"، وهو عنوان دال على مضمون الكتاب وعلى حسن ديانة الكاتب، الذي ألفه للإفادة، وابتغاء لوجه الله تعالى.

ثانيا: موضوعه

"المُحْتَسَبُ في تَبْيِينِ وُجُوهِ شَوَّاذِ القِرَاءَاتِ وَالإِيضَاحِ عَنْهَا"، كتاب في الاحتجاج للقراءات الشاذة، ببيان وجهها صوتيا، وصرفيا، ونحويا، ولغويا، ويدل على ذلك عنوانه.

ثالثا: سبب تأليفه

الانتصار للميراث القرائي العظيم، الشّاذ، وحفظه من الضياع، ببيان وجهه اللغوي، والصوتي والصرفي والنحوي.

المبحث الثاني: تجليات التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم القراءات القرآنية، عند ابن جنّي

المطلب الأول: الجانب المعرفي القرائي عند ابن جني في المحتسب

أظهر ابن جني مكنة معرفية قرائية في المحتسب، يمكن تلخيصها في:

أولا: إدراك تام لطبيعة القراءات القرآنية: للقراءات القرآنية طبيعة خاصة، قد يتعذر إدراكها على كثير من العلماء، لاسيما الشاذّ منها، وهو ميدان، ضلت فيه أقلام، وزلت فيه أقدام، إذ تجدهم يحاولون تحديد الصلة بينها وبين القرآن الكريم، ويجتهدون في بيان أقسامها وأحكامها، ومنهم من يصيب، ومنهم من يخطئ.

[1] : ينظر **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، أبو البركات **الأنباري**، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط 2 سنة 1985م ، ص 245.

[2] : ينظر المرجع نفسه، ص 256.

وابن جنيّ، من العلماء الذين أدركوا حق الإدراك طبيعة القراءات القرآنية، وأنها سنة متبعة، مسندة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عمدتها السماع والنقل والرواية، ولا مجال فيها للرأي والاجتهاد والقياس، وهو القائل: "... غرضنا أن نُرِيَ وجه قوة ما يسمى الآن شاذا، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه[1] آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه؛ لئلا يُرَى مرى[2] أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له لئلا يُرَى مرى أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له. ومعاذ الله! وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– والله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[3]، **وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وأخذه هو الأخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه**"[4]، وقال في موضع آخر: "فأما الآن فلا عذر لأحد أن يرتجل قراءة وإن سوغتها العربية، **من حيث كانت القراءة سنة متبعة**"[5].

ولأن ابن جنيّ يعلم علم يقين؛ أن العمدة في القراءات السماع والنقل والرواية، فقد حرص على الكشف عن المصادره التي أخذ منها الوجوه القرائية الشاذة التي أوردها في محتسبه، واحتجَّ لها، قال في مقدمة المحتسب: "ونحن نورد ذلك على ما رويناه، ثم على **ما صح عندنا من طريق رواية غيرنا له**، لا نألو فيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، **وتحرِّي الصحة في روايته**، وعلى أننا ننْحي فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد –رحمه الله– الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة؛ إذ كان مرسومًا به مَحْنوَّ الأرجاء عليه، وإذ هو أثبت في النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته، ولا توفيقه ولا هدايته. فأما ما رويناه في ذلك فكتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني –رحمه الله– أخبرنا به أبو إسحق إبراهيم بن أحمد القِرْميسيني، عن أبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني عن أبي حاتم، وروينا أيضًا في كتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب من هذه الشواذ صدرًا كبيرًا، غير أن كتاب أبي حاتم أجمعُ من كتاب قطرب لذلك "[6].

ثانيا: معرفة تامة بتاريخ القراءات القرآنية

مما يجب أن يعرف في القراءات تاريخها، وبذلك يمكن تمييز ما تواتر منها وما شذّ، ويترتب على ذلك أحكام، وابن جني، أظهر معرفة دقيقة بتتبع تاريخ القراءات، ما مكنه من تمييز بعضها من بعض، قال في مقدمة المحتسب: "... وضربا تعدّى ذلك فسماه أهل زماننا شاذا... إلا أنه مع خروجه عنها [القراءات المتواترة] نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه... لكن

[1]: الجران: باطن عنق الناقة، والجران: الأثقال، والمراد به في كلام ابن جني: تأكيد توقيفية القراءات الشاذة، وقو سندها.

[2]: المراد: لئلا يظن ظانّ.

[3] : سورة الحشر من الآية 7.

[4]: المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 103.

[5]: المرجع نفسه، ج 1 ص 409.

[6]: المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 36.

غرضنا منه أن نُرِيَ وجه قوة ما يسمى الآن شاذا"[1]، ففي قوله: "فسماه أهل زماننا شاذا" و"ما يسمى الآن شاذا"، دلالة على أنها كانت متواترة قبل عصره، وشذت بالاختيار، الذي رسخه التصنيف المقتصر على بعض القراءات المتواترة[2].

والذي يؤكد أن ثمة قراءات شذّت بالاختيار، ما كان على عصر ابن جني فهو من علماء القرن الرابع وكتابه المحتسب حافل بقراءتي أبي جعفر ويعقوب، وكذا ابن خالويه وهو أيضا من علماء القرن الرابع، وكتابه المختصر في شواذ القراءات؛ حافل هو الآخر بقراءة أبي جعفر، وهي — قراءة أبي جعفر ويعقوب – من العشر المتواترة، بعد أن تم إثبات تواترها ومعهما قراءة خلف بفضل جهود علماء أفذاذ منهم ابن الجزري وهو من القرن الثامن الهجري.

ثالثا: معرفة تامة بأقسام القراءات القرآنية، وحِكمها وأحكامها

مما يجب معرفته في القراءات أيضا، أقسامها، وأحكامها وحِكَمها، فالقراءات المسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمان[3]:

الأول: القراءات المتواترة، وهي ما نقلها الآخر عن الأول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بسند متصل متواتر، وهذه هي ذاتها القرآن الكريم المعجز المتعبد بتلاوته، الحجةُ في العقيدة والفقه والتفسير واللغة.

الثاني: القراءات الشاذة: وهي رويت مسندة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها:

إما نسخت فيما نسخ في العرضة الأخيرة، فهذه كانت قرآنا، ولم تعد كذلك.

وإما أنه جُهِل تواترها بسبب عدم القراءة بها لأجيال، فشذت في زمن من الأزمان، وهذه لا تأخذ حكم القرآن الكريم، إلى أن يثبت تواترها.

والقراءة الشاذة، لا يتعبد بها —لا يقرأ بها في الصلاة، ولا في غيرها–، وهي حجة في الفقه والتفسير واللغة.

وما تقدم من أقسام وأحكام وحِكَم، علم بها ابن جني، قال في مقدمة المحتسب: "... وضربا تعدّى ذلك فسماه أهل زماننا شاذا... ولسنا نقول ذلك فسحًا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم، أو تسويغًا للعدول عما أقرته الثقات عنهم؛

---

[1]: المرجع نفسه، ج،1 ص 102 – 103

[2] : ومن ذلك ما فعله ابن مجاهد حين ألف السبعة في القراءات، وقد لقي صنيعه ذاك انتقادا من بعض العلماء، قال المهدوي –فيما نقله عنه ابن الجزري–: "فأما اقتصار أهل الأمصار على نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي؛ فذهب إليه بعض المتأخرين اختصارا واختيارا فجعله عامة الناس كالفرض المحتوم حتى إذا سمع ما يخالفها خطأ أو كفر وربما كانت أظهر وأشهر ثم اقتصر من قلت عنايته على راويين لكل إمام منهم فصار إذا سمع قراءة راو عنه غيرهما أبطلها وربما كانت أشهر ولقد فعل مسبع هؤلاء السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله، وأوهم كل من قل نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي لا غير وأكد وهم اللاحق السابق وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة ". **النشر في القراءات العشر، ابن الجزري**، قدم له علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 2 سنة 1423 هـ / 2002 م، ج 1 ص 35.

[3]: وهناك نوعان آخران ليسا قسيمين للقراءات، بل تتمة للعلم، الأول: القراءة التفسيرية: وهي ما أضافها الصحابة في مصاحفهم على سبيل التفسير، وهذه قطعا ليست قرآنا، لا يتعبد بها، ولكن يستفاد منها في الفقه والتفسير واللغة، الثاني: القراءة الموضوعة: وهي ما زعمه بعضهم، انتصارا لمذهب عقدي أو فقهي أو لغوي، وهذه كذلك، قطعا ليست قرآنا، مردودة على أصحابها، ولا يستفاد منها في شيء.

... وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع مَن يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية، فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذًّا، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضيٌّ من القول لديه"[1].

لقد علم ابن جني أصل القراءات، وأقسامها، وحكمها، وأحكامها، وآثر الاحتجاج لما شذّ منها، وقد سبق إلى ذلك، دون أن يدعي ذلك لنفسه، فقد صرح في مقدمة المحتسب أن أول من فكر في ذلك شيخه أبو علي الفارسي (ت377هـ)، غيره أنه شغل عن ذلك، في حين احتج غيره لما تواتر منها، وابن جني، بصنيعه ذلك، يكون قد أسهم في حفظ ميراث قرائي عظيم من الضياع، وكتابه المحتسب واحد من المصادر الأصيلة في القراءات الشاذة، وأثرى الدرس الشرعي القرائي واللغوي في مستويات عديدة.

رابعا: معرفة بالقراءات معزوةً للقارئ بها

أورد ابن جني في المحتسب مادة قرائية شاذة عظيمة، معزوٌّ معظمها للقارئ بها، وهو بذلك وفّر مصدرا أصيلا، مهما جدا في القراءات الشاذة.

المطلب الثاني: الجانب المعرفي الصوتي عند ابن جني في المحتسب

بثّ ابن جني آراء صوتية عديدة، وظفها في الاحتجاج للقراءات القرآنية، دلت على رسوخ قدم الرجل في علوم العربية في جوانبها المختلفة، والصوتي منها خاصة، وليس غريبا عنه، فهو الذي ألف في خصائص العربية، وكشف عن لطائفها، وأسرار جمالها وجلالها، وقد احتج للقراءات بظواهر صوتية مختلفة، من الإدغام والإبدال والإتباع، وغيرها.

وهذه بعض آرائه وأقواله، مما ذكره في المحتسب:

أولا: الاحتجاج للقراءات الشاذة بظاهرة التحريك لالتقاء الساكنين

لا تجمع العرب بين ساكنين، إلا وقفا، أو في القافية؛ فإذا اجتمعا: حرّكت أولهما، أو حذفته إن كان مدّا.

وقد احتج ابن جني لبعض القراءات الشاذة، بهذه الخاصية اللغوية في لسان العرب، ومن ذلك:

- **قال ابن جني؛ محتجًّا لقراءة "يَاسينَ والقرآن"، بفتح نون ياسين:**

"قرأ: "يَاسينَ والقرآن" بفتح النون ابن أبي إسحاق بخلاف والثقفي... أما الكسر والفتح جميعا فكلاهما لالتقاء الساكنين، وذلك أنه بنى الكلام على الإدراج لا على وقف حروف المعجم، فحرك فيه لذلك. ومن فتح هرب إلى خفة الفتحة لأجل ثقل الياء وقبلها كسرة"[2].

وفي كلامه لطف ووجاهة.

- **قال ابن جنيّ مُوَجِّها قراءة "لَوُ استطعنا"[3] بضم الواو:**

[1]: المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 102 – 103.

[2]: المحتسب، ابن جني، ج 2 ص 248.

[3]: سورة التوبة من الآية 42. والواو في "لَوُ استطعنا" بالكسر في القراءة المتواترة.

"من ذلك قراءة الأعمش: "لَوُ استطعنا" بضم الواو... شبهت واو لو هذه بواو جماعة المذكرين، فضمت كما تلك مضمومة في قوله تعالى: ﴿ **فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ** ﴾[1]، وكذلك واو الجمع هذه بواو لو فكسرت، وذلك على من قرأ: "فتمنوِا الموت"، و"الذين اشتروِا الضلالة"، وهناك قراءة أخرى: "اشتروَا الضلالة"، بفتح الواو لالتقاء الساكنين، فلو قرأ قارئ متقدم: "لَوَ استطعنا" بفتح الواو لكان محمولا على قول من قال: "اشتروَا الضلالة"، فأما الآن فلا عذر لأحد أن يرتجل قراءة وإن سوغتها العربية، من حيث كانت القراءة سنة متبعة"[2]، ويحسب لابن جني هنا أنه وقاف في القراءات على المنقول، وهو يعلم علم اليقين أن عمدتها النقل والرواية، ولا مجال فيها للرأي والقياس، إلا أن وجه الفتح أيضا منقول[3]، لكنه لم يعلم به.

ثانيا: الاحتجاج للقراءات الشاذة بظاهرة الإتباع والمناسبة الصوتية

من جماليات اللسان العربي مراعاته الانسجام الصوتي بين الأصوات المتجاورة، ولتحصيل ذلك، أبدع العرب ظواهر مختلفة، منها ما سميّ "الإتباع "، وهو " إبدال حركة إلى أخرى تحاشيا لانتقال اللسان من وضع حركة إلى وضع مختلف لحركة أخرى، وما يمثله ذلك من عبء عليه "[4].

والإتباع الحركي مظهر من مظاهر " تأثر الصوائت القصيرة بعضها ببعض، إذ يحدث أن يتجاور أو يتقارب صائتان قصيران في كلمة أو في كلمتين فيتأثر أحدهما بالآخر، وينقلب إلى جنسه "[5].

ويحدث بـ" أن تتماثل حركتان متتابعتان لضرب من الانسجام والتخفيف، وذلك بأن تتغلب حركة متقدمة على تالية فتتأثر بها، وتصير مثلها، أو تكون عكس ذلك، فتتغلب متأخرة على متقدمة "[6].

وقد سماه المتقدمون تقريبا[7] تارة، وإتباعا تارة أخرى[8]، وهو عند المتأخرين يعرف بالإتباع الحركي، والمماثلة بين الحركات المتجاورة[9].

---

[1] : سورة البقرة من الآية 94، وسورة الجمعة من الآية 6.

[2]: المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 409.

[3]: وهي قراءة الحسن. ينظر البحر المحيط، أبو حيان، ج 5 ص 424.

[4]: الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث، البيلي، ص 177، نقلا عن العدوي، ج 1 ص 381.

[5]: **اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، د ط سنة 1999م، ص 143.

[6]: **اللهجات العربية والقراءات القرآنية – دراسة في البحر المحيط –، محمد خان**، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط 1 سنة 2002 م، ص 139.

[7]: ينظر **الخصائص**، أبو الفتح أبو الفتح عثمان **بن جني**، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية مصر، ط 2 سنة 1371 هـ/ 1952 م، ج 2 ص 143.

[8]: ينظر **الكتاب**، أبو بشر عمرو بن عثمان **سيبويه**، تح ، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 1 سنة 1420 هـ / 1999 م، ج 4 ص 109.

[9]: ينظر **الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس**، مطبعة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت، ص 206.

وهاء الكناية، وهي هاء زائدة دالة على الواحد المذكر الغائب[1]، ويسميها البصريون ضميرا[2]. والأصل فيها أن تتحرك بالضم، وقد وقد تكسر إذا سبقت بكسر أو ياء ساكنة للمناسبة والإتباع الحركي[3]، وقد احتج ابن جني بهذه الخصيصة اللغوية لبعض القراءات، القراءات، وفي الآتي بعض الشواهد:

- **قال ابن جنيّ مُوَجِّها القراءة بضم هاء الكناية المسبوقة بكسر أو ياء، من مثل: يُؤَدِّهُ[4] – نُجْزِيهُ[5] – تُؤْوِيهُ[6] – يُنْجِيهُ[7]. يُنْجِيهُ[7].**

"أصل حركة هذه الهاء الضم، وإنما تكسر إذا وقع قبلها كسرة أو ياء ساكنة[8]، كقولك: مررت بِهِ ونزلت عليْهِ، وقد يجوز الضم مع الكسرة والياء"[9].

ومنه فمن كَسَر هاء الكناية المسبوقة بكسر أو بياء ساكنة، رام الانسجام الصوتي الحاصل بالجمع بين الكسر والكسر، وبين الكسر والياء الساكنة، وفرارا من الانتقال من الأقل ثقلا وهو الكسر، والخفيف وهي الياء الساكنة إلى الأثقل وهو الضم، ومن قرأ بالضم آثر القراءة بالأصل، وقد قرئ بضم الهاء المسبوقة بياء ساكنة في المتواتر أيضا[10].

- **وقال ابن جني محتجا لقراءة المُرْءِ[11] بضم الميم والهمز:**

"وأما قراءة ابن أبي إسحاق المرء بضم الميم والهمز فلغة فيه، وكذلك من قرأ بكسر الميم، ومنهم من يضم الميم في الرفع ويفتحها في النصب، ويكسرها في الجر، فيقول: هذا الْمُرْءُ، ورأيت الْمَرءَ، ومررت بالْمِرْءِ، وسبب صنعة هذه اللغة أنه قد ألف الإتباع في هذا الاسم في نحو قولك: هذا امرُؤٌ ورأيت امرَأً، ومررت بامرِئٍ، فيتبع حركة الراء حركة الهمزة، فلما تحركت الميم وسكنت الراء لم يكن الإتباع في الساكن فنقل الإتباع من الراء إلى الميم لأنها متحركة، فجرى على الميم لمجاورتها الراء ما كان يجري على الراء"[12].

فقد وجّه القراءة بالإتباع، وهي ظاهرة صوتية، يجنح إليها؛ طلبا للانسجام الصوتي، كما تقدم.

---

[1]: ينظر **الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي**، مكتبة السوادي جدة – السعودية، ط5 سنة 1420هـ / 1999 م، ص 68.

[2]: ينظر **غنية الطالبين** ومنية الراغبين المعروف بالمقدمة البقرية في علم التجويد، شمس الدين محمد بن قاسم **البقري**، تح: محمد معاذ مصطفى الخن، دار الإعلام عمان – الأردن، ط 1 سنة 1423 هـ / 2002 م، ص 115.

[3]: ينظر شرح طيبة النشر، أنس مهرة، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 3 ، سنة 1426 هـ / 2005 م، ص 66.

[4]: سورة آل عمران من الآية 75.

[5]: سورة الأنبياء من الآية 29.

[6]: سورة المعارج من الآية 13.

[7]: سورة المعارج من الآية 14.

[8]: وكذلك (بالكسر) قرئت هاء الضمير في الكلمات أعلاه.

[9]: ينظر المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 420.

[10]: وهي رواية حفص عن عاصم في قوله تعالى:» عليْهُ الله» سورة الفتح من الآية 10.

[11]– وهي بفتح الميم "المَرْءِ" في المتواتر من القراءات حيث وقعت في القرآن الكريم.

[12]: المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 186 : 187.

➢ **وقال ابن جني محتجا لقراءة "رُطَبًا جِنِيًّا"[1] بكسر الجيم:**

"ومن ذلك قراءة طلحة: "رُطَبًا جِنِيًّا" بكسر الجيم... أتبع فتحة الجيم من جَنِيًّا كسرة النون، وشبه النون وإن لم تكن من حروف الحلق بهن... وله في تشبيهه النون بالحرف الحلقي عذر ما، وذلك لتفاوتهما فالنون متعالية كما أنهن سوافل[2]، فكل في شقه مضاه لصاحبه، ألا ترى أن أبا العباس قال في همزة صحراء وبطحاء ونحوهما: صحروان وبطحاوان وصحروات وبطحاوات ؟ شبهت الهمزة بالواو، لأن كل واحدة منهما طارفة في جهتها، فجعل تناهيهما في البعد طريقا إلى تلاقيهما في الحكم. وبعد فالعرب تجري الشيء مجرى نقيضه كما تجريه مجرى نظيره، ألا تراها قالت: طويل كما قالت قصير، وشبعان كجوعان... ونحو من معناه قول المنجمين في النحسين إذا تقابلا استحالا سعدا، وعليه قول الناس: عداوة أربعين سنة مودة. والمعاني في هذا العالم متلاقية على تفاوتها، ومجتمعة مع ظاهر تفرقها، لكنها محتاجة إلى طَبٍّ[3] بها وملاطف لها"[4].

➢ **وقال ابن جني محتجا لقراءة "جَهَرة"[5] و" زَهَرة"[6]، بتحريك الهاء إتباعا:**

"ومن ذلك قراءة سهل بن شعيب النهمي: "جَهَرة" و"زَهَرة"، كل شيء في القرآن محركا... مذهب أصحابنا [يقصد البصريين] في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه، كالزَّهْرة والزَّهَرة والنَّهْر والنَّهَر والشَّعْر والشَّعَر، فهذه لغات عندهم كالنَّشْز والنَّشَز والحَلْب والحَلَب والطَّرْد والطَّرَد. ومذهب الكوفيين فيه أن يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه كالبَحْر والبَحَر والصَّخْر والصَّخَر. وما أرى القول من بعد إلا معهم والحق فيه إلا في أيديهم، وذلك أنني سمعت عامة عقيل تقول ذلك ولا تقف فيه سائغا غير مستكره، حتى لسمعت الشجري يقول: أنا مَحموم بفتح الحاء، وليس أحد يدعي أن في الكلام مفَعول بفتح الفاء... فعلى هذا يكون جهرة وزهرة إن شئت مبنيا في الأصل على فَعَلة، وإن شئت كان إتباعا"[7].

أظهر ابن جني هنا روحا علمية عالية – تحسب له – بأن خالف مذهب البصريين، أصحابه، وأيد مذهب الكوفيين، غير أنني لا أرى سببا ومسوغا لتخصيص الظاهرة – فتح الوسط الساكن – بالأحرف الحلقية، وقد شملت حروفا كثيرة غيرها.

ثالثا: الاحتجاج للقراءات الشاذة بظاهرة الإدغام

من الظواهر الصوتية؛ كثيرة الشيوع في اللسان العربي، الإدغام، و"هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا"[8]، ويجنح إليه لتيسير الكلام، ودفع الثقل، قال سيبويه (ت 188هـ): " لأنه لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم

---

[1]: سورة مريم من الآية 25. والجيم في القراءة المتواترة مفتوحة "جَنِيّاً".

[2]: يقصد مخرجا لا صفة، وأما صفتا الاستعلاء والاستفال، فليس من حروف الحلق حرفا مستعليا سوى الغين والخاء، والبقية مستفلة وكذا النون.

[3]: الطَّبُّ: الحاذق الماهر في الشيء.

[4]: المحتسب، ابن جني، ج 2 ص 84 : 85.

[5]: سورة البقرة من الآية 55، وسورة النساء من الآية 153، وسورة الأنعام من الآية 47. وهاء **جهْرة** ساكنة في القراءة المتواترة.

[6]: سورة طه من الآية 131. وهاء **زهْرة** ساكنة في القراءة المتواترة.

[7]: المرجع نفسه، ج 1 ص 166 : 167.

[8]: النشر، ابن الجزري، ج 1 ص 215.

يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة"[1]. وقال ابن جني، أيضا: "إنهم قد علموا أن إدغام الحرف في الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما نبوة واحدة نحو قولك شَدَّ وقَطَّعَ وسَلَّمَ"[2]. وقد احتج ابن جني بالإدغام لبعض القراءات الشاذة، ومن ذلك:

- **قال ابن جني محتجا لقراءة: "يَخَطِّفُ"[3] بفتح الياء والخاء والتشديد:**

"" يَخَطِّفُ" بنصب الياء والخاء والتشديد... أصله يَخْتَطِفُ، فآثر إدغام التاء في الطاء لأنهما من مخرج واحد، ولأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوى صوتا من المهموس، ومتى كان الإدغام يقوي الحرف المدغم حسن ذلك... والخاء قبلها ساكنة فنقلت الحركة إليها، وقلبت التاء طاء وأدغمت في الطاء فصارت يَخَطِّفُ. ومنهم من إذا أسكن التاء ليدغمها كسر الخاء لالتقاء الساكنين، فاستغنى بحركتها عن نقل الحركة إليها، فيقول: يَخِطِّفُ. ومنهم من يكسر حرف المضارعة إتباعا لكسرة فاء الفعل ما بعده فيقول: يِخِطِّفُ... وعلى هذا قالوا في ماضيه: خِطِّفَ، وأصلها اختطف، فأسكن التاء للإدغام فانكسرت الخاء لسكونها وسكون التاء فحذف همزة الوصل لتحرك الخاء بعدها، وأدغمت التاء في الطاء بعدها فصار خِطَّفَ. ومنهم من يتبع الطاء كسرة الخاء فيقول: خِطِّفَ... وأنشدونا:

لاَ حِطِّبَ القَوْمَ وَلاَ القَوْمَ سَقَى"[4].

وزاد في موضع آخر: "... أما الأصل فيهما فيحتطمنكم، يفتعل من الحطم، وهو الكسر، أي: يقتلنكم، وآثر إدغام التاء في الطاء لقرب مخرجيهما، فأسكنها وأبدلها طاء، وأدغمها في الطاء بعدها، ونقل الفتحة من التاء إلى الحاء، فقال: " يَحَطِّمَنَّكُمْ". ومن كسر الحاء فإنه لما أسكن التاء للإدغام كسر الحاء، لسكونها وسكون التاء"[5].

- **وقال ابن جني محتجا لقراءة: "يَعَدُّونَ"[6] بفتح العين وتشديد الدال:**

"ومن ذلك قراءة شهر بن حوشب وأبي نهيك: "يَعَدُّونَ في السبت"... أراد يعتدون، فأسكن التاء ليدغمها في الدال، ونقل فتحتها إلى العين فصار يَعَدُّونَ"[7].

- **وقال ابن جني محتجا لقراءة: "مُرِدِّفين"[8] بتشديد الدال:**

"أصله: "مرتدفين" مفتعلين من الردف، فآثر إدغام التاء في الدال، فأسكنها وأدغمها في الدال، فلما التقى ساكنان وهما الراء والدال حرك الراء لالتقاء الساكنين، فتارة ضمها إتباعا لضمة الميم، وأخرى كسرها إتباعا لكسرة الدال"[1]. وقال أيضا: "وكذلك الكلام في

---

[1]: الكتاب، سيبويه، ج 4 ص 104.

[2]: الخصائص، ابن جني، ج 2 ص 227 .

[3]: سورة البقرة من الآية 20. وهي في القراءة المتواترة "يَخْطَفُ" بتسكين الخاء وفتح وتخفيف الطاء.

[4]: المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 140 : 141.

[5]: المرجع نفسه، ج 2 ص 182.

[6]: سورة الأعراف من الآية 163. وهي في القراءة المتواترة بتسكين العين وضم الدال وتخفيف الدال "يَعْدُونَ".

[7]: المرجع نفسه، ج 1 ص 377.

[8]: سورة الأنفال من الآية 9. وهي في القراءة المتواترة بتسكين الراء وكسر وتخفيف الدال "مُرْدِفِينَ".

في قوله: يَهَدِّي ويِهِدِّي ويَهِدِّي وجاء المعُذِّرون والمعَذِّرون والمعِذِّرون ومُرَدِّفين ومُرِدِّفين ومُرُدِّفين... وأصله كله المعتذرون ومرتدفين..."[2].

- **وقال ابن جني محتجا لقراءة: "أَنْ يَصَّلِحَا"[3] بتشديد الصاد:**

"ومن ذلك قراءة عاصم الجحدري " أَنْ يَصَّلِحَا"... أراد يصطلحا أي يفتعلا، فآثر الإدغام فأبدل الطاء صادا، ثم أدغم فيها الصاد التي هي فاء، فصارت يَصَّلِحَا. ولم يجز أن تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصفير، ألا ترى أن كل واحد من الطاء وأختيها والظاء وأختيها يدغمن في الصاد وأختيها، ولا يدغم واحدة منهن في واحدة منهن؟ فلذلك لم يجز "إلا أن يَطَّلِحَا" وجاز أن يَصَّلِحَا"[4].

- **وقال ابن جني محتجا لقراءة: "يَخِصِّفَانِ"[5] بكسر الخاء والصاد مشددة:**

" وأما قراءة الحسن: " يَخِصِّفَانِ" فإنه أراد بها يختصفان يفتعلان من خصفت، كقولهم: قرأت الكتاب واقترأته، وسمعت الحديث واستمعته، فآثر إدغام التاء في الصاد فأسكنها والخاء قبلها ساكنة، فكسرها لالتقاء الساكنين، فصارت "يَخِصِّفَانِ". ومن قرأها: "يَخَصِّفَانِ" فإنه أراد أيضا إدغام التاء في الصاد... ثم نقل الفتحة إلى الخاء"[6].

رابعا: الاحتجاج للقراءات الشاذة بظاهرة التسكين طلبا للتخفيف

من جماليات؛ وروائع اللسان العربي، أيضا، الجنوح للتخفيف، بالتسكين، عند توالي الحركات، لاسيما ما ثقل منها، وتتخلص العرب من الحركة تخفيفا، ويستوي عندهم حركة البناء والإعراب معا، وقد وقف ابن جني، على هذه اللطيفة في اللسان العربي، واحتج بها لبعض القراءات، ومن ذلك:

- **قال ابن جني؛ موجها قراءة "الْمُثْلات"[7] بضم الميم وسكون الثاء:**

"ومن قال: "الْمُثْلات" بضم الميم وسكون الثاء احتمل عندنا أمرين: أحدهما: أن يكون أراد الْمَثُلات ثم آثر إسكان الثاء استثقالا للضمة ففعل ذلك، إلا أنه نقل الضمة إلى الميم... والآخر أن يكون خفف في الواحد فصار مَثُلَة إلى مُثْلة، ثم جمع على ذلك فقال الْمُثْلات... وأما من قال: الْمَثْلات بفتح الميم وسكون الثاء فإنه أسكن عين المثلات استثقالا لها فأقر8 الميم المفتوحة"[9].

---

[1]: المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 387.

[2]: المرجع نفسه، ج 1 ص 141.

[3]: سورة النساء من الآية 128. وقراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف: "يُصْلِحَا" بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف من أصلح. وقراءة الباقين بفتح الياء والصاد مشددة وبألف بعدهما وفتح اللام "يَصَّالَحَا".

[4]: المرجع نفسه، ج 1 ص 306.

[5]: سورة الأعراف من الآية 22، وسورة طه من الآية 121. وهي في القراءة المتواترة "يَخْصِفَانِ" بسكون الخاء وكسر وتخفيف الصاد.

[6]: المحتسب، ابن جني، ج 1 ص 355 : 356.

[7]: سورة الرعد من الآية 6. وفي القراءة المتواترة "الْمَثُلاَتُ" بفتح الميم وضم الثاء.

[8]: كذا وردت في النص، ولعله تصحيف والصواب: وأقر بالواو وليس بالفاء.

[9]: المحتسب، ابن جني، ج 2 ص 26 – 27.

- **وقال ابن جني؛ موجها قراءة "وإذ يَعِدُكُمْ الله"[1] بتسكين الدال:**

"ومن ذلك قراءة مسلمة بن محارب: "وإذ يَعِدْكُمْ الله" بإسكان الدال... أسكن ذلك لتوالي الحركات وثقل الضمة"[2]، وقال في موضوع سابق شارحا الظاهرة: ومن ذلك قال ابن مجاهد: قال عباس سألت أبا عمرو عن"يُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ"، فقال أهل الحجاز يقولون "يعلمُهم ويلعنُهم مثقلة ولغة تميم يعلمْهم ويلعنْهم، قال أبو الفتح: أما التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه ؛ لأنه استيفاء واجب الإعراب؛ لكن من حذف فعليه السؤال؛ وعلته توالي الحركات مع الضمات فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركات الإعراب، وعليه قراءة أبي عمرو"فَتُوبُوا إِلَى بَارِئْكُمْ" فيمن رواه بسكون الهمزة"[3]، وانظر كيف عدّ ابن جني التحريك ولو كان ذا وظيفة إعرابية تثقيلا.

- **وقال ابن جني؛ موجها قراءة " أَوْ يُحْدِثْ لَهُمْ ذِكْرًا"[4] بتسكين الثاء:**

"ومن ذلك قراءة الحسن: "أَوْ يُحْدِثْ لَهُمْ ذِكْرًا" ساكنة الثاء... ينبغي أن يكون هذا مما يسكن استثقالا للضمة"[5].

وفي هذا الشاهد كذلك، حذفت الحركة الإعرابية طلبا للخفة.

خاتمة:

انتهى المقال إلى:

أولا: تأكيد إمامة ابن جني، ومُكْنَتِه العلمية الجامعة بين علوم القرآن، وعلوم اللسان، التي هيّأته للحديث في علم من أدّق علوم القرآن وأخصّها، وهو القراءات القرآنية الشاذة، فألف كتابا في الاحتجاج لها، يعد مصدرا أصيلا في الدرس القرائي واللغوي معا .

ثانيا: تأكيد وثيق الصلة بين علم الأصوات وعلم القراءات القرآنية، من خلال التجسيد التراثي للتكامل بين العِلمين، وذلك عند قِبْلة علمية لغوية، وهو أبو الفتح عثمان بن جني، من خلال واحد من أهم مصادر اللغة والقراءات القرآنية في آن، وهو كتاب المحتسب. ممثلا بذلك، كأجمل ما يكون التمثيل للتكامل المعرفي بين علوم شتّى، ومنها التكامل المعرفي بين علوم اللسان وعلوم القرآن عامة، وعلم الأصوات وعلم القراءات القرآنية خاصة.

ثالثا: فضلا عن مادته العلمية العظيمة – قرائيا ولغويا–، فالمحتسب، سَفْر حافل بالمصطلح الصوتي، والقرائي.

رابعا: بَثَّ ابن جني في محتسبه الكثير من الآراء، والتحليلات، والتعليلات اللغوية، والقرائية، القيّمة، مُهَيِّئًا بذلك وِرَثَ أعمال علمية عظيمة، ومحيلا ومقترحا مشاريع بحث كثيرة النفع بإذن الله تعالى وتوفيقه.

---

[1]: سورة الأنفال من الآية 7. وفي القراءة المتواترة "يَعِدُكُمُ" بضم الدال.

[2]: المرجع نفسه، ج 1 ص 387.

[3]: المرجع نفسه ، ج1 ص 195.

[4]: سورة طه من الآية 113. وفي القراءة المتواترة "يُحْدِثُ" بضم الثاء.

[5]: المرجع نفسه، ج 2 ص 104.

قائمة المراجع

أولا: القرآن الكريم

مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، برواية حفص عن عاصم.

ثانيا: الكتب

1- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت .

2- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، اعتنى به صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د ط سنة 1425هـ / 2005 م.

3- البحر المحيط، أبو حيان، تح: عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 سنة 1422 هـ / 2001 م.

4- الخصائص، أبو الفتح أبو الفتح عثمان بن جني، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية مصر، ط 2 سنة 1371 هـ/ 1952 م.

5- شرح طيبة النشر، أنس مهرة، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط 3 ، سنة 1426 هـ / 2005 م.

6- غنية الطالبين ومنية الراغبين المعروف بالمقدمة البقرية في علم التجويد، شمس الدين محمد بن قاسم البقري، تح: محمد معاذ مصطفى الخن، دار الإعلام عمان – الأردن، ط 1 سنة 1423 هـ / 2002 م.

7- القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، حمدي سلطان حسن أحمد العدوي ، دار الصحابة للتراث طنطا _ مصر، ط 1 سنة 1427 هـ / 2006 م.

8- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 1 سنة 1420 هـ / 1999 م .

9- اللهجات العربية والقراءات القرآنية – دراسة في البحر المحيط –، محمد خان، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط 1 سنة 2002 م.

10- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، د ط سنة 1999 م.

11- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تح، محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 1 سنة 1419 هـ / 1998م.

12- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سنة 1420هـ- 1999م.

13- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، سنة 1993 م.

14- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط 2 سنة 1985م.

15- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، قدم له علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 2 سنة 1423 هـ / 2002 م.

16- الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي، مكتبة السوادي جدة – السعودية، ط5 سنة 1420هـ / 1999 م.